البـــابُ الرابـــع

١ – الإعلام فى مفهوم الإسلام .

٢ – الغيث سقوطه على الأرض من أسرار السماء

٣ – الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها .

٤ – الخيل ومدى الإهتمام بها من جانب الإسلام .

٥ – أمة النمل من عجائب خلق الله .

الإعلام
فى مفهوم الإسلام

إن التصور الإسلامى لمفهوم الإعلام ، هو توصيل الحقائق الصادقة إلى الناس كافة وإشراكهم فى تذوق هذه الحقائق وتمكينهم من الإيمان بها وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِه هُمْ بِهِ يؤْمِنُون ، وَإذا يُتلَى عَلَيْهِم قَالُوا آمَنَّا بِه إنَّهُ الْحَقُّ منْ رَبِّنَا إنَّا كُنَّا مِنْ قَبلِهِ مسلِمينَ ، أُولَئِكَ يُؤْتَونَ أَجْرَهُمْ مرَّتَيْنِ بِمَا صَبَروا وَيَدْرَءونَ بِالْحسَنة السَّيِّئَةَ وَمِما رزَقْنَاهُم يُنفِقُونَ ، وَإذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عليْكُمْ لاَ نَبتَغى الجَاهِلِين ، إنَّك لاتَهْدِى منْ أَحْبَبتَ وَلكنَّ اللهَ يهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ ﴾[1] .

الحقائق المستخلصة من هذا النص القرآنى :

فى هذا النص المبارك تبرز حقائق ثلاثة :

الحقيقة الأولى : إن توصيل الحقائق الصادقة هو الإعلام الذى تستخدمه الدعوة الإسلامية فى عملية الاتصال وتبليغ الدعوة إلى الله .

الحقيقة الثانية : إن الذين وصلت إليهم هذه الحقيقة شاركوا فى تذوقها إلى درجة :

---

(١) سورة القصص ٥١ – ٥٦ .

١ - أنهم رفضوا إغراء رافضى الإيمان من الكفار .

٢ - وأنهم كانوا على مستوى الإيمان بالحقيقة التى تذوقوها فكان ردهم للأعداء ردًا جميلاً .

الحقيقة الثالثة : إن غاية الإعلام فى الجو الإسلامى ليس هو القهر والاستخفاف بعقليات الجماهير ، وإنما هو احترام إرادتهم وتقدير تفكيرهم :

١ - فليس الداعية فى الإسلام بمسئول عن إدخال الناس فى الإسلام قهرًا وجبرًا .

٢ - وإنما هو مسئول فقط عن توصيل الحق الأبلج واضحًا إلى الناس ، ثم هم بعد ذلك فى حرية تامة يختارون موقفهم إما الإيمان أو عدم الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِد أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنما يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[1] .

فليس الداعية فى الإسلام بمسيطر على الناس فى دعواه إلى الله ، إنما عليه البلاغ لهم فقط ثم بعد ذلك أمر الناس مفوض إلى الله يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضلَّ عَن سَبِيله وَهُو أَعْلَم بالمهتَدين﴾[2] .

العملية الإعلامية هى عملية اتصال والاتصال يقوم على مجموعة من الأسس وضع علماء الإعلام شروطًا لها طبقًا لما يلى :

١ - المصدر : اشترط فيه أن يكون موثوقًا فيه من الجماهير ، وأن يكون قادرًا على العطاء والمنع أى الثواب والعقاب .

---

(١) سورة الأنعام ١٢٥ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

٢ - الرسالة : اشترط فيها أن تكون واضحة فى العرض وفى الهدف المقصود منها ، وأن تحمل حدى العاطفة أى الرجاء والخوف .

٣ - المستقبِل : وهو المستهدف المراد تغيير عقله وشعوره واتجاهاته وتفكيره .

٤ - القناة الموصلة : أو قناة الاتصال اشترط فيها جودتها ومواءمتها للظروف والمناسبات ورأوا أنه كلما كانت ذات اتصال شخصى تكون أكثر جدوى ، وأن تكون مرنة سريعة التأثير .

٥ - الفائدة العائدة : بمعنى الاستجابة .

٦ - المشاركة : وفيها يستفسر المستقبلون وهم المدعوون ويجيبهم الداعى عنها .[1] .

التصور الإسلامى لشروط الأسس السابقة فى عملية الإعلام :

إن التصور الإسلامى لشروط هذه الأسس واضح وجلى فى عملية التطبيق طبقًا لمايلى :

١ - فالمصدر : فى التصور الإسلامى للدعوة ، هو وروده عن المعصوم رسول الله ﷺ : إنه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فالصورة التى دلل بها القرآن الكريم على وحدانية الله سبحانه وقدرته وجميل عطاياه وشديد عقابه أدخل فى مفهوم عملية الاتصال من تصور زعيم بشرى يمنى أو يهدد ، وذلك قدر متفق عليه من المسلمين والكفار معًا قال الله تعالى :

(١) بحث الأسس الإعلامية فى التصور الإسلامى للأستاذ الدكتور متولى يوسف حسن منشور بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ هـ مارس ١٩٨٤ م جزء/٦ .

﴿ ولَئِنْ سَأَلْتَهم منْ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ وَسخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمر لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1] ، وقال جل وعلا : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ موْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحمدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَيَعْقِلُونَ﴾[2] .

٢ - أمَّا عن الرسالة فى التصور الإسلامى : فهى شهادة التوحيد ، ألوهية واحدة ونبوة خاتمة وهذه الرسالة لم تكن محل تكذيب من القوم لكنهم يجحدون آيات الله قال تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولونَ فَإِنَّهُم لاَيُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظالِمينَ بآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[3] .

والدليل التاريخى على عدم التكذيب مع وقوع الكفر منهم ، أنهم لم يتهموه ﷺ قط بالخيانة لفظًا ولم يختاروا غيره أمينا على ودائعهم خلال وجوده بين ظهرانيهم بمكة المكرمة حتى كانت هجرته إلى المدينة فأناب ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه ليؤدى عنه الأمانات إلى أصحابها[4] .

٣ - وعن المستقبل : وهو وإن لم يحفل به علماء علم الاتصال ، لكن الإسلام اشترط فيه أن يبلغ مأمنه إذا كان فى حالة الحرب ، وفى ذلك قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمشْرِكينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُم أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمَ قَومٌ لاَيَعْلَمُونَ﴾[5] .

---

(١) سورة العنكبوت : ٦١ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٣ .

(٣) سورة الأنعام : ٣٣ .

(٤) كتاب نافذة على الإيمان تأليف الشيخ مصطفى الحديدى الطير مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(٥) سورة التوبة : ٦ .

ومعنى هذا أن الإسلام لا يوصل رسالته إلى الناس بالإرهاب ولا لمن يمنعه مانع ، فالمكرَه والناسى فى الإسلام خارجان عن مغبة الحساب حتى يرتفع عنهما السبب المانع ، قال الله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِه إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان وَلكن مَنْ شَرحَ بِالكُفْر صَدْرًا فَعَلَيْهم غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهم عَذَابٌ عَظيمٌ﴾[1] ويقول سبحانه : ﴿رَبَّنَا لاتُؤَاخِذنَا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[2] .

٤ - أما فيما يتعلق بقناة الاتصال : فإن رسول الله ﷺ جعل لها عديدًا من الوسائل

(أ) فاتخذ الزيارة الشخصية . (ب) والوليمة .

(جـ) والمؤتمرات الدائمة . (د) والمؤتمرات الخاصة .

(هـ) والسفارة . (و) والمعاهدة صلحًا أوهدنة أوأمانًا .

(ز) وأخيرًا المسجد فى عنصريه المنبر والمئذنة، فالمنبر ليرتفع فوقه الداعية فيكثر عدد المستمعين، والمئذنة ليعلو فوقها المؤذن فينتشر صوته عبرطبقات الهواء إلى آخر مدى يمكن أن يصله الصوت، وهى أساس فكرة المكبر الصوتى ثم المذياع فى زماننا المعاصر. ومما سبق يتضح أن النظرية الإسلامية سبقت جميع مدارس علم الاتصال فيما يتعلق بتعديد وسائل قنوات الاتصال[3].

---

(١) سورة النحل : ١٠٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٣) بحث الأسس الإعلامية فى التصور الإسلامى بمجلة الأزهر المرجع السابق الإشارة إليه.

٥ - وعن الفائدة العائدة : فهى فى نظر المدارس غير الإسلامية حتمية لأن جهود الإعلام لا تبذل من أجل الإقناع الإرادى ولكن من أجل الاستجابة القسرية لمايبث، لكنها فى الإسلام لابد أن تكون إرادية يقول الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاالْبَلاَغُ الْمبِينُ﴾[1] وقوله جل وعلا: ﴿ فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إلا الْبَلاَغُ﴾[3] وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[4] وقوله : ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾[5] وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[6].

والتصور الإسلامى للفائدة العائدة ليس ثمرة للإعلام بل ثمرة شىء آخر هو :

٦ - المشاركة من المستقبل للرسالة الموجهة إليه ، ويظهر ذلك فى كثير من الآيات والمواقف القرآنية .

أما الآيات : فمثاله قول الله تعالى :

﴿قُلْ أَرُونِىَ الَّذِينَ أَلْحقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلاَّ ، بَلْ هوَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحكِيمُ﴾[7] وقوله جل وعلا : ﴿يَأَيُّها الناسُ اذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَليكُمْ ، هَلْ مِنْ خَالقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، لاَ إِلَه إِلاَّ هوَ فَأَنَّى

(١) سورة النحل : ٣٥ .
(٢) سورة النحل : ٨٢ .
(٣) سورة الشورى : ٤٨ .
(٤) سورة العنكبوت : ١٨ .
(٥) سورة آل عمران : ٢٠ .
(٦) سورة الغاشية : ٢١ ، ٢٢ .
(٧) سورة سبأ : ٢٧ .

تُؤْفَكُونَ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ والأَرْضِ قلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هدى أَوْ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[2] .

أما عن المواقف القرآنية فمنها قول الله تعالى :

﴿وقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إلا يخْرُصُونَ ، أَمْ آتَيْنَاهُم كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمسكُونَ ، بَلْ قَالوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدونَ ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبلِك فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهم مُقْتَدون ، قَال أَو لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدى مما وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِه كَافِرونَ﴾[3] .

وبعد : فإن الأساس الذى تقوم عليه العملية الإعلامية فى الإسلام هى :

أولاً : كرامة الإنسان حتى ولو كان غير مسلم . وكان الإسلام يعلن هذا التكريم فى اللحظة التى تجمعت فيها جيوب كثيرة لمحاربته يقول الله تعالى : ﴿وَلَقَد كَرَّمْنَا بَنِى آدمَ وَحَمَلْنَاهُم فى الْبَرِّ والْبَحْرِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[4] .

ثانيا : عدم الاستخفاف بعقلية الناس ، لأن الإسلام يهدف إلى هداية البشر عن طريق العقل ولذلك دعا القرآن الكريم إلى استخدام العقل العاقل

---

(١) سورة فاطر : ٣ .

(٢) سورة سبأ :٢٤ .

(٣) سورة الزخرف : ٢٠ — ٢٤ .

(٤) سورة الإسراء : ٧٠ .

الفاهم بالمشاركة فى الرسالة التى توجه إلى المدعوين إلى عقيدته أى المستقبلين لرسالته قال الله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] وقوله : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ﴾[3] .

ثالثًا : والإسلام لا يضلل المستمع فالكذب حرام والغش والمكر والخديعة فى النار يقول الله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[4] وقوله : ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[5] .

رابعًا : عدم إباحة الجدل على إطلاقه من أجل الغلبة والمراء المفضوح ، بل جعله الإسلام مشروطًا بالتى هى أحسن أدبًا وغايةً يقول الله تعالى : ﴿وَلاَ تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلا بالَّتى هِىَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إليكم وإِلَهُنَا وَإِلَهُكُم وَاحِدٌ وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[6] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٢ .
(٢) سورة يوسف : ٢ .
(٣) سورة الحج : ٤٦ .
(٤) سورة التوبة : ١١٩ .
(٥) سورة الزمر : ٣٣ .
(٦) سورة العنكبوت : ٤٦ .

الغيث
سقوطه على الأرض من أسرار السماء

الغيث هو المطر ينزله الله فى وقته بلا تقديم ولا تأخير ، وفى بلد لا يتجاوزه إلى غيره ، وبمقدار تقتضيه حكمته ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] .

وبناء على هذه الآية الكريمة يتضح أن نزول المطر هو من ضمن مفاتح الغيب التى استأثر الله بعلمها .

ويقول جل وعلا : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[2] .

هذه الآية من سورة النور من أعجب الآيات الكونية فى القرآن الكريم ، جاء فيها لفظ الجبال لا على التعريف ، كما فيما عداها من الآيات التى ذكرت فيها الجبال بلفظها ولكن على التنكير تعجبًا منها وتنبيهًا إلى دلالاتها فى عظم السحاب الذى يشبه الجبال والتى من صفاتها العظم والرسوخ .

---

(١) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

(٢) سورة النور الآية : ٤٣ .

ويذكر الله سبحانه وتعالى أنه يسوق السحاب بِقُدْرته . ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَه﴾ أى : يجمعه بعد تفرقه ، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ أى : يجعله متراكما يركب بعضه بعضًا ﴿فترى الودْقَ يخرجُ منْ خِلاَلِهِ﴾ أى : أن المطر يخرج من خلله[1] .

وقوله : ﴿وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبالٍ فيها من بَرَدٍ﴾ أى : أن الله سبحانه ينزل من هذا السحاب البالغ العظم حتى كأنه جبال ، والذى فيه من البرد أنواع ، بردًا متنوع الشكل والوزن والتركيب مع ملاحظة أن سحب البرد دائمًا ثقال جدًّا .

وقد وصفها العالم الروسى ن . كوليكوف بقوله : (إنها تتميز بلون قاعدتها الرمادى وانقسامها إلى رقاع وأن قمتها تبدو كجبل له نتوءات كالتلال صفراء غير منتظمة ، وهذه الجبال تبدو إذا أشرف عليها من أعلى كأنها مغطاة بملاءات من سحب متشعبة ككتل الصوف)[2] .

فيصيب الله بمطر هذه السحب من يشاء رحمة لهم بشربهم منه وإرواء لحقولهم أو نقمة عليهم لما فيه من إتلاف زروعهم وأشجارهم ، ويصرفه عمن يشاء حتى لا تتلف زروعهم وأشجارهم رحمة بهم أو نقمة عليهم حتى يصيبهم الجفاف كما حدث لبعض الدول فى قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا فى السنين الأخيرة .

غفلة المسلمين عن آيات الغيث فى زماننا المعاصر :

كانت بلاد السودان الشقيقة ويقطنها الشعب السودانى المسلم من جملة البلاد الإفريقية التى نكبت فى السنين الأخيرة بالجفاف لفترات متتالية

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى المجلد الثانى – دار القرآن الكريم بيروت .

(٢) كتاب الإسلام فى عصر العلم تأليف المرحوم الدكتور محمد أحمد الغمراوى إعداد الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى طبعه سنة ١٩٧٨ .

نتيجة قلة نزول الأمطار عليها أو على هضبة الحبشة (أثيوبيا) مما أدى إلى نقصان الوارد منها إلى مياه النيل بدرجة كبيرة ، واضمحلال الزراعة نتيجة لذلك خصوصًا تلك التى تروى بمياه الأمطار ، ولما حلت تباشير الصيف فى خلال سنة ١٩٨٨ م ، اتصل بعض المسئولين هناك بمراكز الأرصاد العالمية فى أوروبا وكذلك بمركز الإرصاد المتخصص عن الأمطار فى مدينة لندن ، لتنبئها عن كميات المطر المتوقع نزولها فى موسم الأمطار فوردت تقاريرها جميعها تشير إلى ندرته وأن هذه الفترة كسابقتها امتداد لسنوات الجفاف .

فاطمأن رجال الدولة فى السودان إلى سلامة هذه التقارير ، ولم يهتموا إلى ضرورة تطهير مجارى نهر النيل وفروعه مما علق بقاعه وقاعها من رمال طيلة السنين الماضية ، كما لم يروا ضرورة منع المهاجرين من الجنوب إلى الخرطوم بسبب الحرب الأهلية من البناء العشوائى فى مجارى السيول .

ثم وقعت الواقعة وفوجئ السودان بل العالم كله فى أغسطس وأوائل سبتمبر بنزول الأمطار على أعالى النيل ، وعلى هضبة أثيوبيا وعلى السودان ، ولكثرتها وشدتها على السودان صارت سيولاً تجرف كل ما أمامها من أبنية ومنازل ومحصولات وفاض النيل من كثرة ما به من المياه على جانبيه فامتلأت بها الشوارع والطرقات ، واقتحمت على الناس بيوتهم فتهدم الكثير منها وأصبح كثير من الناس هناك بلا مأوى ولا مؤونة مما أدى إلى أن تطلب حكومة السودان العون والمساعدة من جميع أنحاء العالم وسرعة إغاثتها من هذه النكبة الفاجعة[1] .

(١) صحيفة الأهرام القاهرية فى الأيام الماضية .

وشبيه بهذه الواقعة لكن بصورة أخرى ما حدث فى دولة الإمارات العربية المتحدة فقد امتنع نزول الأمطار عليها فى السنوات الماضية فأسرعت بعض الشركات الأجنبية واتصلت بالمسئولين هناك وأبلغتهم بأن الأمر يسير ، ولا يستدعى القلق وأرسلت إليهم عـددًا من الطائرات تحمل شيئًا من المواد الكيمائية حتى إذا ما سارت سحابة فوق تلك البلاد قامت الطائرات فوقها ورشتها بتلك المواد فأنزلت ما بها من المطر .

لكن بقيت الطائرات رابضة على أراضى الإمارات سنوات فى انتظار مرور السحابة المنتظرة فلم تمر أبدًا، وعندما زادت حدة الجفاف وآذنت آبارها بالنضوب وفى ذلك ما فيه من شدة الكرب وهلاك الزرع، طلب أمير البلاد من شعبه الالتجاء إلى الله بإخلاص ، والخروج لأداء صلاة الاستسقاء وكان هو على رأس شعبه فى أداء هذه الصلاة . واستجاب الله جل وعلا :

فلم تمض بضعة أيام حتى امتلأت سماء البلاد هناك بالسحاب ونزلت الأمطار بغزارة روت الحرث والزرع وملأت الآبار وحدث كل ذلك أمام أعين طاقم الطائرات الأجنبية الرابضة على الأرض ودون أن تحرك ساكنًا[1] . قال تعالى : ﴿هوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرقَ خوْفًا وطمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[2] ، وقال : ﴿أَفَرأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ، ءَأَنتُم أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ المنزِلُونَ﴾[3] وصدق الله فيما قال وفيما قضى .

(١) جريدة الأخبار القاهرية صدرت منذ عدة أسابيع .

(٢) سورة الرعد : آية ١٢ .

(٣) سورة الواقعة : ٦٨ ، ٦٩ .

الفتنة نائمة
لعن الله من أيقظها

مما تميز به الإسلام على مدى تاريخه الطويل أنه لم يعرف الأحقاد الطائفية ، كما وأن الحروب الدينية غريبة على أرضه ، فقد ألف هذا الدين منذ بدأ يعاشر غيره على السماحة والمياسرة واللطف وأن يرعى حسن الجوار فيما يشرع من قوانين ويضع من تقاليد ، وهو فى ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالف له ومن ثم لم يفرض عليه حكمه فى الحلال والحرام ، أو يقهره على الخضوع لشرائعه بل ترك أهل الأديان وما يدينون ، ذلك أن الإسلام يقرر أن اختلاف الناس فى أديانهم وعقائدهم أمر طبيعى من ضرورات الحياة وفى هذا يقول الله سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[1] .

أفعال مرية من بعض أهل الكتاب :

دأب أعداء الإسلام من أهل الكتاب على العمل جاهدين على خلخلة عقيدة المسلمين وتشكيكهم فى أفكارهم ومفاهيمهم الإسلامية ، فيرسلون إليهم بين حين وآخر نشرات تبشيرية وحكايات توراتية وصلت إلينا إحداها تحت عنوان (محبة الله) ، تضمنت قصة يونان بن أمتاى (أى يونس بن متى) كما جاءت فى أسفار العهد القديم ، وهو الكتاب المقدس عند اليهود

(١) سورة هود : ١١٨ – ١١٩ .

والنصارى أو المسيحيين كما غلب على تسميتهم فى زماننا المعاصر ، والقارئ لهذه النشرة أو القصة لا يجد فيها ما يستلفت النظر ، لكن ما يثير العجب حقًا بل الدهشة أن ينعت الله سبحانه وتعالى فيها بالندم وذلك فى قوله :

١ - (لعل الله يعود **ويندم** ويرجع عن حمو غضبه) سفر يونان الإصحاح الثالث عدد ٩ .

٢ - وفى قوله : (فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة **ندم الله** على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه) الإصحاح السابق عدد ٩ من السفر المذكور .

غرور أهل الكتاب وتعصبهم الممقوت على الإسلام والمسلمين :

إن الغرور والتعصب ليسا حديثين فى هذه المعاملة الشائنة التى يلقاها المسلمون من أهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى :

١ – فقديمًا أكد الفريقان أن الدنيا والآخرة لهما وحدهما فصور القرآن هذا التفكير الضيق ورد عليه فى إيجاز وأدب ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجنَّةَ إلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارى ، تِلْكَ أَمانِيُّهم قُلْ هَاتُوا برهَانكم إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُه عِنْد رَبِّهِ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] .

٢ – ثم بين القرآن الكريم أن على المسلمين مصابرة هؤلاء اليهود والنصارى ورد عداوتهم برقة وحلم قال الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونكُمْ مِنْ بعْدِ إيمَانِكُمْ كفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْد أَنْفُسِهِمْ مِنْ

(١) سورة البقرة : ١١١ ، ١١٢ .

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] .

٣ - وما فات القرآن أن يقرر أن محاسنة هؤلاء الصنف من الناس لن تطفئ نيرانهم أبدًا إذ أن راحتهم الكبرى هى فى محو الإسلام ، وهدم مساجده ورد المسلمين قسرًا عن عقيدتهم ، ومع استبانة هذا القصد السيئ فى المسالك المعوجة لهؤلاء القوم فإن الإسلام لا يعاملهم بالمثل ولا يوحى لنبيه ﷺ وأتباعه أن يعفوا على آثار الديانات السابقة ويمحوها من الوجود ، بل يكتفى أن يطلب من نبى الإسلام ومن معه الثبات على الحق وعدم التزحزح عنه مهما لاقوا من صعاب[2] ، يقول الله تعالى : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[3] .

أهل الكتاب لا يفقهون ما تعنى به كلمة الإسلام :

يبدو أن أهل الكتاب عمومًا لا يفقهون شيئًا مما تعنى به كلمة (الإسلام) الذى يمقتونه ويرفضونه ، وإلا لكان لهم موقف آخر من المسلمين غير هذا الموقف البغيض العدائى ، وفى هذا المعنى يقول المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز (إذا أخذنا كلمة الإسلام بمعناها القرآنى نجدها لا تدع مجالاً لهذا السؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية :

---

(١) سورة البقرة : ١٠٩ .

(٢) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام تأليف الشيخ محمد الغزالى مطبعة حسان - بدون تاريخ

(٣) سورة البقرة : ١٢٠ .

فالإسلام فى لغة القرآن ليس اسما لدين خاص وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء[1] .

هكذا نرى نوحًا يقول لقومه : ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]

ويعقوب يوصى بنيه فيقول : ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3]

وأبناء يعقوب يجيبون أباهم : ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[4]

وموسى يقول لقومه : ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[5]

والحواريون يقولون للمسيح عيسى بن مريم : ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[6]

بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن : ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[7]

---

(١) كتاب الدين تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز مطبعة السعادة سنة ١٣٨٩ هـ — سنة ١٩٦٩ م

(٢) سورة يونس : ٧٢ .

(٣) سورة البقرة : ١٣٢ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٣ .

(٥) سورة يونس : ٨٤ .

(٦) سورة آل عمران : ٥٢ .

(٧) سورة القصص : ٥٣ .

ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها فى قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ﷺ ويبين لهم فيها إنه لم يشرع لهم دينًا جديدًا وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبراهِيمَ ومُوسَى وَعيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّين وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيه ﴾[1] ثم ينظم القرآن الأنبياء فى سلك واحد ، ويجعل منهم جميعًا أمة واحدة لها إله واحد كما لها شريعة واحدة قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾[2] .

ما هذا الدين المشترك الذى اسمه الإسلام ، والذى هو دين كل الأنبياء والمرسلين ؟ إن الذى يقرأ القرآن يعرف كنه هذا الدين : إنه هو التوجه إلى الله رب العالمين فى خضوع خالص لا يشوبه شرك ، وفى إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أى لسان ، وفى أى زمان أو مكان دون تمرد على حكمه ، ودون تمييز شخصى أو طائفى أو عنصرى بين كتاب وكتاب من كتبه ، أو بين رسول ورسول من رسله هكذا يقول القرآن ﴿ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[3] ويقول : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وما أُنْزِلَ إِلَى إِبْراهيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى ومَا أُوتِى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِم لاَ نُفَرقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة الشورى : ١٣ .

(٢) سورة الأنبياء : ٩٢ .

(٣) سورة البينة : ٥ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٦ .

غير أن كلمة الإسلام قد أصبح لها فى عرف الناس مدلول معين ، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التى جاء بها محمد (ﷺ) أو التى استنبطت مما جاء به ، كما أن كلمة اليهودية أو الموسوية تخص شريعة موسى وما اشتق منها ، وكلمة النصرانية أو المسيحية تخص شريعة المسيح عيسى وما تفرع منها .

علاقة الإسلام بالديانات السماوية السابقة :

إن علاقة الإسلام بالديانات السماوية فى صورتها الأولى هى علاقة تصديق وتأييد كلى ، أما عن علاقته بها فى صورتها المنظورة فهى علاقة تصديق لما تبقى من أجزائها الأصلية وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنها .

ومع ذلك فإن الإسلام حرصًا منه على وحدة الأمة وتماسكها لا يكفل لغير المسلمين فى بلاد الإسلام حرية عقائدهم وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم فحسب ، بل يمنحهم من الحرية والحماية ومن العدل والرحمة قدر ما يمنحه للمسلمين من حقوق عامة تطبيقًا للقاعدة الإسلامية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)[1] .

بل إنه يندب المسلمين إلى أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل وقسط قال الله تعالى : ﴿لاَ ينهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2] .

---

(١) كتاب الدين تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز .

(٢) سورة الممتحنة : ٨ .

محبة الله وكيف تكون :

إن محبة الله يا أهل الكتاب ، يا من ترسلون النشرات التبشيرية والحكايات التوراتية ليست كلامًا مرسلاً يحمل فى طياته خبث النفس وقذارة اليد وكره العشيرة وقسوة الخصام وقطع المودة وعداء المسلمين ولكنها اتباع لما يرضى المحبوب فمن أحب الله فليتبع حبيبه ومصطفاه محمدًا ﷺ ، وليتأدب بما دعا إليه من فضائل وآداب ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[1] .

ولقد أطلق القرآن وصف الكافرين على المعرضين عن طاعة الله ورسوله لأن من تولى وأعرض ولو بقلبه فهو نافر من شرع الله كاره له فيكون بذلك كافرًا .

القول بأن الله ندم على الشر وصف فيه افتراء على الله :

هذه العبارات التى تنعت الله سبحانه بالندم لا يعقل البتة أن تكون وحيًا ، ونحن المسلمين نعتقد أن كتاب النبى موسى عليه السلام وكذلك الوحى النازل على سائر الأنبياء عليهم السلام برىء من هذا اللغو وما شابهه من عبارات الحزن ، والأسف والتعب والجهالة ، فهى من إضافات البشر ويؤكد ذلك أن جمهرة الفلاسفة والعلماء المؤمنين بالله يرفضون كل الرفض أن يوصف الله بما لا ينبغى أن يوصف به أو إسقاط صور ذهنية معتلة على ذاته المقدسة سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا[2] .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) كتاب قذائف الحق منشورات المكتبة العصرية تأليف الشيخ محمد الغزالى بيروت – صيدا

وبعد . . .

فإن ترويج هذه المنشورات الصليبية والقصص التوراتية بين المسلمين خدعة رديئة ، وحيل خسيسة لا تغيب دلالتها عن بصير ، ويكفينا عزا نحن المسلمين أن نجد في وحينا وقرآننا التطابق واضحًا مبينا بين عظمة الله في قوله وعظمته في عمله .

يقول جلت كلماته : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُل شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ، عَالِمِ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعالِ﴾[1] .

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَعَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَهُ مقَالِيد السَّماوَاتِ وَالأَرْض﴾[2] .

﴿وَهُو الَّذِى يَبْدَأُ الْخلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعزِيزُ الحكِيمُ﴾[3] .

﴿بَدِيْعِ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَم تكُنْ لَهُ صاحبةٌ ، وَخلَق كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فاعْبُدُوه وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَكِيلٌ ، لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[4] .

---

(١) سورة الرعد : ٨ ، ٩ .

(٢) سورة الزمر : ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) سورة الروم : ٢٧ .

(٤) سورة الأنعام : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾[1] .

هذه هى حقائق القرآن العظيم ولن تتلاشى مطلقا ، أما الأساطير التى كذبت على الله وعلى الناس فلن تخلد ، وأن الصراط المستقيم صراط الإسلام لن تطمس شاراته أو تضيع آياته أبدًا .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلاَمِ ﴾[2]

﴿ وَهذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ، لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْد رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة ق : ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٥ .

(٣) سورة الأنعام : ١٢٦ ، ١٢٧ .

الخيـــل
ومدى الاهتمام بها من جانب الإسلام

وهب الله الخيل قدرًا من جمال الشكل وكرم الطبع وحدة القلب وعزة النفس وقوة الإدراك وحب الألفة ، وجعلها فى سرعة الطير وقوة الدابة ، ومنحها خفة النسيم ورشاقته وعتو الريح وصولته مع ذكاء فى الكر والفر وحمية وشجاعة المتيقن فى القتال .

أما عن تسميتها بالخيل عند العرب فذلك لاختيالها وزهوها فى مشيتها ، وقد افتتنوا بها لما فيها من خصال الشرف والمنافع والغناء فى السفر والحضر ، وفى الحرب والسلام وفى الزينة والبهاء ، وفى العدة والعتاد ما ليس فى غيرها من سائر الحيوان[1] .

ذكاء الخيل :

مما يثير الدهشة والعجب أن الخيل العتاق وهو نوع من أنواع الخيل يعرف بقوة إدراكه وشدة إحساسه حيال راكبه ، هل هو من أهل الفروسية والاعتياد بركوب الخيل وضبطها ؟ فيستذل له ويعطيه من نفسه ما يريد أو أنه ليس من أهل الفروسية والاعتياد بركوب الخيل وضبطها فيستصعب عليه ويتعزز فى نفسه ، ولا يمكنه مما يريد والعامة تقول فى هذا المعنى (الخيل تعرف ركابها) .

---

(١) كتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى الجزء الأول صفحة ٣٩٢ .

عناية العرب بالخيل :

عندما سأل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كرب : كيف معرفتك بالخيل العراب يا عمرو ؟ أجابه بقوله : (معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده) ويقول أكثم بن صيفى أحد حكماء العرب فى وصيته (عليكم بالخيل ففيها حصون العرب) .

وفى غريب الفقه فيما يتعلق بهذا المعنى أن الإمام ابن سيرين رحمه الله سئل عمن أوصى بثلث ماله فى الحصون فقال هو فى الخيل واستشهد على تفسيره بقول الشاعر :

إن الحصون متون للخيل لا المدر[1]

أصناف الخيل :

الخيل على قسمين :

عراب وبراذين

فالعراب : هى الخيل العتيقة

والبراذين على قسمين : هماليج وزوامل

والهماليج : هى السريعة السير المعدة لذلك

والزوامل : هى التى توكف ويحمل عليها المتاع[2]

---

(١) مقال (الخيل فى حياة العرب بقلم الأستاذ محمد العربى الخطابى) نشر بمجلة الفيصل السعودية العدد ٧٥ رمضان سنة ١٤٠٣هـ – يونية سنة ١٩٨٣م نقلا عن مخطوط من التراث الأندلسى محفوظ بخزانة الكتب الملكية فى الرباط هو كتاب مطلع اليمن والإقبال فى انتقاء كتاب الاحتفال لعبد الله بن محمد بن جزى الكلبى الغرناطى من أعلام الأندلس .

(٢) المرجع السابق .

ألوان الخيل :

أفضل الخيل وأشرفها الشقر ولقد جاء عن رسـول الله ﷺ أنه قال : (يمن الخيل فى شقرها)[1] وقد رواه أبو داود والترمذى وذكر ذلك فى كتاب التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول – المجلد الرابع .

والأشقر هو من كان ذو حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب[2] .

ويلى الشقر فى الفضل والمزية **الكمت والدهم** ، قال الأصمعى : (أشد الخيل جلودًا وحوافر هى الكمت الحم) وهى التى اشتدت حمرتها .

والعرب تقول : (ملوك الخيل **دهمها**) وهى التى يغشاها السواد أو تميل إلى السواد .

وأهم ألوان الخيل عشرة وهى :

الدهمة ، والخضرة ، والصدءة ، والكمتة ، والوردة ، والشقرة ، والصفرة ، والعنابية ، والشهبة ، والبلق[3] .

وكل واحد من هذه العشرة الألوان يتنوع إلى أنواع ويتفرع إلى أقسام يضيق هذا المقام عن ذكرها ولمن أراد التوسع فى ذلك فليرجع إلى الكتب المتخصصة عنها .

ذكر الخيل فى القرآن الكريم :

١ - ولقد ذكر الكتاب الكريم الخيل فى معرض استعراض القوة من المسلمين وإعداد العدة والسلاح لإرهاب أعداء الإسلام وهذا فى قول الله تعالى :

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى لفظ شقر .

(٣) مقال الخيل فى حياة العرب – المرجع السابق .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[1] .

٢ - وفى طبقات ابن سعد بسنده عن غريب المليكى أن النبى ﷺ سئل عن قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] من هم فقال : (هم أصحاب الخيل) .

٣ - وسماها الله سبحانه وتعالى بالخير فى قوله جل وعلا حكاية عن سليمان عليه السلام : ﴿ فَقَالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾[3] .

٤ - كما ورد ذكر الخيل فى سورة العاديات وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾[4] وهى خيل الغزو التى تعدو فتضبح أى تصوت بأجوافها[5] .

ذكر الخيل فى السنة النبوية

١ - فى صحيح السنة عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ يلوى ناصية فرسه بأصبعه وهو يقول : الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » .

---

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .
(٢) سورة البقرة : ٢٧٤ .
(٣) سورة ص : ٣٢ .
(٤) سورة العاديات ١ .
(٥) مختار الصحاح المرجع السابق لفظ ضبح .

ومعنى عقد الخير بنواصيها أنه ملازم لها كأنه معقود فيها .

والمراد بناصيتها الشعر المسترسل على جبهتها وكنى بالناصية عن جميع ذات الفرس وهو واحد الخيل ، وهذا الاسم يقع على الذكر والأنثى كما تقرر ذلك معاجم اللغة .

٢ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما (أن النبى ﷺ سابق بين الخيل التى ضمرت وكان أمدها من الحفياء إلى ثنية الوداع ، وسابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية إلى مسجد بنى رزيق)[1] .

والضامر من الفرس هو الخفيف اللحم من الأعمال لا من الهزال .

٣ - كما روى النسائى والطبرانى من حديث عبد الله بن أبى الجعد عن جميل الأشجعى رضى الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء فكنت فى آخر الناس فلحقنى النبى ﷺ فقال : « سر يا صاحب الفرس » فقلت : يا رسول الله إنها فرس عجفاء وضعيفة قال : فرفع النبى ﷺ مخفقة كانت معه فضربها بها ، وقال : « اللهم بارك له فيها » فلقد رأيتنى ما أملك رأسها حتى صرت قدام القوم ، ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفًا .

٤ - وروى الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك عن الزهرى عن سالم وحمزة ابنى عبد الله بن عمر عن أبيهما رضى الله عنهم ، أن النبى ﷺ قال : « إن يكن الخير فى شىء ففى ثلاث المرأة والدار والفرس » .

٥ - ولما كان للخيل فى الحرب ما لها من البطش فى الدفاع وحصانة الامتناع فى ذلك الزمان فرض رسول الله ﷺ فى المغانم للفرس سهمين

---

(١) رواه الشيخان .

ولصاحبه سهمًا واحدًا فكان الفارس يعطى ثلاثة أسهم ، أما الرجل فكان لا يعطى إلا سهمًا واحدًا ولفظ الرجل يعنى الراجل أى الذى يحارب راجلاً دون أن يركب[1] .

أسماء خيل رسول الله ﷺ :

أولاً – السكب : وهو من سكب المال كأنه سيل اشتراه من رجل من فزاره كان اسمه قبل أن يشتريه الضرس .

ثانيا – المرتجز : سمى بذلك لحسن صهيله .

ثالثًا – اللحيف : كأنه يلحف الأرض لجريه ، ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة .

رابعًا – اللزاز : ومعناه أنه ما سابق شيئًا إلا لزه أى أثبته وألصقه .

خامسًا – سبحه : وهو الذى سابق عليه ﷺ فسبق ففرح بذلك .

سادسًا – الورد : أهداه له ، نعيم الدارى وقد وهبه ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله فحمل عليه عمر فى سبيل الله تعالى[2] .

وقد زاد بعض المؤرخين فى أفراس رسول الله حتى وصل بها إلى خمسة عشر وهى :

---

(١) مقال الخيل فى حياة العرب المرجع السابق .

(٢) مقال الخيل فى حياة العرب – المرجع السابق – وكتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميرى المرجع السابق .

الأبلق ، وذو العقال ، والمرتجل ، وذو اللمة ، والسرحان ، واليعثوب ، والبحر وكان كميتا ، والأدهم ، وملاوح ، والظرب ، والشحاء ، والمراوح ، والمقدام ، والفرس ، واليعبوب[1] .

شعرات خاتم النبوة كانت كعرف الفرس :

يروى أن حبرًا يهوديًا سكن مكة المكرمة قبل ميلاد النبى ﷺ يبيع بها تجارات فأتى ذات غدوة إلى مجلس فيه ملأ من بنى عبد مناف وبنى مخزوم فقال هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ فقالوا ما نعلمه فقال أما إذا أخطأكم فاحفظوا ما أقول لكم : ولد الليلة نبى هذه الأمة الآخرة وآيته أن بين كتفيه شامة صفراء حولها شعرات متتابعات كأنهن عرف فرس .

فتصدع القوم من مجلسهم يتعجبون لقوله ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبرهم نساؤهم أنه قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام ، فلما التقوا فى ناديهم تحدثوا بذلك وجاءهم اليهودى وأخبروه فقال اذهبوا بى إليه حتى أراه فخرجوا به ، فدخلوا على آمنة بنت وهب ، وقالوا أخرجى إلينا ابنك فأخرجته لهم فكشفوا عن ظهره فرأوا خاتم النبوة فأغمى على اليهودى ، فلما أفاق سألوه فقال خرجت النبوة من بنى إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب[2] .

---

(١) كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد النويرى السفر العاشر طبعة دار الكتب العربية صفحة ٣٣ وما بعدها .

(٢) كتاب نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار تأليف الشيخ الشبلنجى الشافعى المدعو بمؤمن . صفحة ٩ طبعة المحمودية بمصر المحمية سنة ١٣١٣هـ .

زيد الخيل :

كان زيد الخيل ويدعى (أبو مكنف) فارسًا مغوارًا مظفرًا شجاعًا بعيد الصوت فى الجاهلية وهو القائل فى شعره :

بنى عـامر هـل تعرفون إذا غدا أبومكنف قد شد عقد الدوائر
بجيش تضل البلق فى حجراته ترى الأكم فيه سجدًا للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجر الوغى كثير تواليـه سريع البـوادر

وقد أدرك ذلك الفارس الإسلام فاهتدى بهديه ، ولما استقبله رسول الله ﷺ قال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله فقال الرسول ﷺ : ومن أنت ؟ قال أنا زيد الخيل بن مهلهل فقال رسول الله ﷺ : « بل أنت زيد الخير ، الحمد لله الذى جاء بك من سهلك وجبلك وأرق قلبك على الإسلام ، يا زيد ما وصف لى رجل قط فرأيته إلا كان دون ما وصف به إلا أنت فإنك فوق ما قيل فيك ، إن فيك لخصلتين يحبهما الله قال زيد : وما هما يا رسول الله ؟ قال : « الأناة والحلم » .

فقال زيد : الحمد لله الذى جعلنى على ما يحب الله ورسوله[1] .

أبو الطيب المتنبى والخيل

قال ابن رشيق فى عمدته فى باب منافع الشعر ومضاره : إن أبا الطيب المتنبى لما ذهب إلى بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمى ، وأجزل جائزته رجع من عنده قاصدًا مدينة بغداد ، وكان معه جماعة فخرج عليهم

(١) كتاب السيرة النبوية لابن هشام الجزء الرابع تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى وكتاب السيرة النبوية فى ضوء روايات الإمام الطبرى – الجزء الأخير رجب سنة ١٤٠٩هـ الملحق بمجلة الأزهر صفحة ١١٠ .

قطاع الطريق بالقرب من بغداد فلما رأى الغلبة لهم فرَّ هاربًا فقال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبدًا وأنت القائل :

الخيـــل والليـــل والبيـداء تعرفنى الحرب والضرب والقرطاس والقلم

وعندئذ كر أبو الطيب المتنبى راجعًا وقاتل حتى قتل فكان سبب قتله هذا البيت من الشعر وقد حدث ذلك فى شهر رمضان سنة ٣٥٤ هجرية[1] .

الفروسية وإساءة استغلالها فى الحروب الصليبية :

الفروسية تتمثل أصلاً فى حماية الضعفاء وعقاب مرتكبى الجور والظلم أينما وجدوا ، وتولى أمر كل قضية كريمة أو عادلة حتى تفوز وتنتصر لتثير ذكريات الاستبسال العفيف ، والتضحية الفردية والجماعية وإغاثة الملهوف وإجلال السمو الأخلاقى لتحرك فى النفس معانى السماحة الباسمة وسط المخاطر والرقة الوادعة التى تلازم القوة .

ولكن هذه المعانى النبيلة والأهداف الغالية ، والمرامى السامية استغلت استغلالاً يتنافى مع كل مرمى شريف أو هدف أخلاقى نبيل فى حملات الحروب الصليبية على بلاد الشرق فى القرون الوسطى ، حيث تجرد الفرسان النصارى من كل معانى السمو والشرف والسماحة والعدل فبلغوا غاية الطغيان وكانوا أظلم من الظلم .

وتشهد عليهم شوارع مدينة القدس القديمة التى سالت فيها دماء الأبرياء بغزارة من سيوف أولئك الفرسان التى أعملوا فى أهلها ذبحًا

(١) كتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى الجزء الأول صفحة ٣٩٣ .

وقتلاً للأطفال والنساء والشيوخ ولم يستثنوا أحدًا من سكانها بل أبادوهم جميعًا .

ويقول غوستاف لوبون في مؤلفاته عن حضارة العرب : (إن قومه الصليبيين قتلوا في تلك المجزرة ما ينوف على ستين ألفًا من المسلمين) .

أما ابن خلدون فيصف تلك النكبة في كتابه العبر بقوله : (إنه قد أحصى القتلى بالمساجد فقط من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين فكانوا سبعين ألفًا أو يزيدون .

ويعلق المؤرخ ويلز Wells فيقول : (إن دم المقهورين في مذبحة بيت المقدس الرهيبة كان يجرى في الشوارع حتى لقد كان الفرسان الصليبيون يصيبهم رشاش الدم وهم راكبون) .

ونحن لا ندهش من قسوة أولئك الفرسان الأوربيين إذا علمنا أن أسوأ ما بثته الفروسية في مجتمع العصور الوسطى بأوروبا هو عاطفة وحشية من التعصب الديني الأعمى ، إذ أن الكنيسة هناك أفلحت في أن تبسط نفوذها وسيادتها على الفروسية المسيحية ، وكما طارت صرخة الكنيسة في أمم أوروبا بشن الحرب الصليبية على بلاد الإسلام كانت الفروسية الأوروبية على قدم الاستعداد والأهبة لخوض تلك الحروب القذرة ، يحدوها تعصبها الذميم وحقدها الدفين على الإسلام والمسلمين .

هل تكفي الخيل ورباطها لإرهاب العدو في زماننا المعاصر :

كان رباط الخيل وقت ظهور الإسلام كافيا في إعداد قوة الحرب والردع وحراسة الثغور ، ولكن الحروب الآن تطورت في أساليبها مما اقتضى تطور وسائل الردع ضد العدو ، وذلك بإقامة الحصون الثابتة المزودة بأحدث أنواع الأسلحة والمناظير القوية البعيدة المدى ، والأقمار الصناعية الكاشفة ،

وذلك لإحكام مراقبة تصرفات العدو عن بعد ، وتنبيه قيادة جيوش المدافعين إلى خططه والمسارعة إلى رده قبل أن يباغتهم والاهتمام بإعداد الجيوش وتدريبها وتزويدها بشتى الأسلحة الحديثة ، سواء الخفيفة كالبنادق والقنابل ، أو الثقيلة كالدبابات والمدرعات والطائرات المقاتلة والقاذفة والصواريخ الموجهة ، والمدفعية بعيدة المدى والأساطيل البحرية التى تحمى شواطئ البلاد الإسلامية ، والغواصات التى تحمى أعماق بحارها الإقليمية وغير ذلك من الأسلحة المتطورة فى حالات الدفاع والهجوم مما تقتضيه ضرورات الحروب الحديثة ، فضلاً عن الأجهزة التى تجمع له المعلومات عن جيوش العدو فى عدده وعدته وخططه مما يسمى بالاستخبارات فى وقتنا هذا .

والإسلام فى دعوته المسلمين إلى سلوك طريق القوة لا يحب لأبنائه الدعة الذليلة أو المعيشة المستكينة ولا الرضا بالهوان وحتى غزوات رسوله ﷺ ، لم تكن للإيذاء أو العدوان بل شرعت لرد أذى المعتدين ودفع الظلم عن المسلمين ، فهى دفاع عن النفس والدين وإبلاغ دعوة الله للعالمين .

قال الله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1] .

---

(١) سورة الحج : ٣٩ .

أمة النمل
من عجائب خلق الله تعالى
فى هذا الكون

من عجيب الأمثال قولهم اضبط من النمل ، ومع ذلك فهى ذات حس لطيف، وتقدير مصيب، ونظر فى العواقب غريب، ولقد بلغ من تفقد النملة وحسن تدبيرها أنها تخاف على الحبوب التى ادخرتها فى الصيف لزمن الشتاء أن تفسد وتسوس ويقلبها بطن الأرض، فتخرجها إلى ظهرها لتيبسها وتعيد إليها الجفاف تحت أشعة الشمس أوليضربها النسيم وينفى عنها الفساد.

وعندما تجد مكانها نديا وخافت أن تنبت به الحبوب نقرت موضع القطمير من وسط الحبة وسبحان من ألهمها أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب ، فهى تفلق الحب كله أنصافًا ، وأعجب من ذلك أنه إذا كان الحب من نوع الكزبرة فلقته إلى ثلاثة أقسام أو فلقته أرباعًا لأن أنصاف حبة الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب فهى على هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان حتى ربما كانت فى ذلك أحزم من كثير من الناس[1] .

(١) كتاب الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الجزء الرابع تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون سنة ١٣٥٩هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

مدى همة النمل وجرأتها وتعاونها مع جنسها :

كثيرا ما يرى الإنسان نملة واقعة على حشرة مثل الجراد أو الصرد[1] فترومها وتحاول قلبها ونقلها فتسحبها وتجرها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت عذرًا مضت إلى جحرها راجعة فلا يلبث ذلك الإنسان أن يرى تلك النملة قد أقبلت ، وخلفها صويحباتها كالخيط الأسود الممدود فيتعاون على تلك الفريسة حتى يحملنها مما يفسر لنا بعد الهمة والجرأة من جانب النملة على محاولة نقل شيء فى وزن جسمها مائة مرة وأكثر من ذلك ، ولهذا فإنه من حركتها اشتق اسمها فسميت النملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها[2] .

كيف ينى النمل أعشاشه :

يبنى النمل أعشاشه عادة تحت الأرض ، وهى مجوفة تتكون من طوابق قد تصل إلى عشرين طابقًا فى جزئه الأعلى وعلى عدد مماثل من الطوابق تحت سطح الأرض ، ولكل طابق غرضه الخاص الذى تحدده أساسًا درجة الحرارة فالجزء الأكثر دفئًا فى العش يحتفظ به خصيصًا لتربية صغار النمل ، وباقى الأجزاء يتم توزيعها طبقًا لحاجة العمل والتخزين واحتفاظه بالحبوب التى يستولى عليها ، ومن مجموع أعشاش النمل تتكون مستعمرة النمل أو وادى النمل والتى يصل عدد أعشاشها إلى مائتى عش يحتوى كل منها على عدد يتراوح بين خمسة آلاف إلى خمسمائة ألف[3] .

---

(١) هو نوع من الحشرات الأرضية يصرصر كالصقر وقيل طائر فوق العصفور يصيد العصافير – انظر لسان العرب لابن منظور الأنصارى المصرى الجزء الرابع .

(٢) كتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى الجزء الثانى .

(٣) كتاب عالم الحيوان بين العلم والقرآن للمرحوم عبد الرزاق نوفل باب عالم النمل .

مخ النملة :

بتشريح جسم النملة ودراسة أجزائها دراسة تفصيلية بالاستعانة بأجهزة الفحص والتصوير الاليكترونى ، واستخدام الأشعات المختلفة تبين وجود مخ عجيب للنملة ، يؤكد ذكاءها فهو رغم صغر حجمه الذى يقل عن الملليمتر ولا يرى إلا تحت المجهر فإنه يتكون من فصين رئيسيين كمخ الإنسان وبه من المراكز العصبية والخلايا الحساسة ما للإنسان تمامًا إلا أنها تختلف عما فى الإنسان ، فى أن الخلية العصبية الواحدة للنملة تختص بكل وظائف الحواس من بصر وسمع وشم وحركة ، وأن مادة النباهة والذكاء الموجودة بمخ النملة تكون على شكل أجسام دقيقة مغمورة فى السوائل والدهون المحيطة بتلك الأجسام[1] .

القرآن الكريم أشار فى محكم آياته إلى ذكاء النمل :

لعل القرآن الكريم أشار فى محكم آياته إلى ذكاء النمل وبصره بالأمور ، وذلك فى قوله تعالى عن جيوش سليمان عليه السلام لما مرت على وادى النمل إذ صاحت نملة تحذر بنى جنسها من تلك الجيوش وتنصحهم بالدخول إلى مساكنهم ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نملَةٌ يَاأَيُّهَا النملُ ادخلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وجُنُودُه وهمْ لاَيشْعُرُونَ﴾[2] .

النمل من أنبل وأسخى المخلوقات إيثارًا للغير :

حبا الله النملة فى خلقتها بكيس غير عادى عند مدخل بطنها يطلق عليه العلماء (الكيس الاجتماعى – أو أبريق السكر أو الزجاجة الجلدية)

---

(١) للرجع السابق .

(٢) سورة النمل ١٨ .

وهو منفصل تمامًا عن معدة النملة لذلك فهو لا يحتوى على غدد هضمية ، ولكن مهمته تبدأ بعد أن تحصل النملة على حاجتها الغذائية وذلك بالاحتفاظ بباقى الطعام المكدس بداخله سليمًا على هيئة سائلة سكرية ، ولما كان هذا الكيس مطاطى الشكل حار قابلا للتمدد إلى درجة تجعله يصل إلى ثمانى أو عشر مرات حجم المعدة فى النملة ، وإذ كان النمل فى العش الواحد إنما يأكل كل جميعه مما سبق له تخزينه ، ومن كميات الطعام المتاحة أمام سكان عشه لم يكن هناك خوف على جوع واحدة من أفراده لذلك كان احتفاظ النملة بكيسها الغذائى إنما هو لتغذية نمل من غير عشها ويصل الإيثار بها إلى أن تقدم من غذاء هذا الكيس الاجتماعى للنمل العدو أو لذلك الغريم إن كان محتاجًا إلى الطعام قبل بدء المعارك والحرب فيما بينها ، فلا يتدخل الغذاء فى سير القتال لأن الغذاء هو رزق الله الذى قدره لكل خلقه ، فلا يجوز أن يستغل فيضغط به أو يحارب عليه ، كما توصلت الدراسات العلمية إلى أن النملة الجائعة لا تسأل من تقابله من النمل عن جوعها ، بل تتحسس النملة الأخرى بنفسها معدة صديقتها أو عدوتها حتى تدرك حقيقة شبعها ، أو درجة جوعها ويتم ذلك بقرون الاستشعار الموجودة عندها ، والغريب أنها عندما تخرج الغذاء من كيسها الاجتماعى تكون النملة المعطية فى حال من النشوة والسعادة لا مثيل لها فأين هذا مما يحدث فى وقتنا الحالى من مجاعة شملت الملايين من بنى البشر فى كثير من الدول الأفريقية ، فتتصرف الهيئات الحاكمة فيها أو فى غيرها بالنسبة للجائعين تصرفات عرقية أو غير إنسانية ، ففى أثيوبيا مثلاً ترفض الحكومة النصرانية أن توصل الغذاء إلى الجائعين المسلمين بحجة مخالفتهم لها فى الدين ، فتضطرهم إلى الهلاك جوعًا أو الهجرة جماعات لأقرب الدول الإسلامية .

ودولة أخرى مثل إسرائيل لا تقوم بإنقاذ الجائعين أو مساعدتهم بشيء من الغذاء بل تعمل فقط على إنقاذ من يتفق معها فى عقيدتها ولذلك نقلت عشرة آلاف يهودى أثيوبى (وهم الفلاشة) خشية هلاكهم فى المجاعة وقامت بتوطينهم فى فلسطين ، مع أن الأصل فى المجاعات محاولة إنقاذ الناس عمومًا دون تمييز بين اليهودى والنصرانى والمسلم ، إنما الأصل أن يكون التمييز بين من يتعرض حالاً للهلاك جوعًا ومن يتعرض له أقل من ذلك .

ما ورد عن النمل فى السنة النبوية المطهرة :

روى الترمذى الحكيم فى نوادره عن معقل بن يسار قال قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه وشهد به على رسول الله ﷺ قال : (ذكر رسول الله ﷺ الشرك فقال هو فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم ، وأستغفرك لما تعلم ولم أعلم يقولها ثلاث مرات) .

وروى أيضًا عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : (ذكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلمى الناس الخير) قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفى الصحيحين وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : (نزل نبى من الأنبياء عليهم السلام تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها

فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة) قال عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول لم يعاتبه الله على تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البرىء بغير البرىء .

وقال القرطبى : إن الله تعالى أراه فى تلك الواقعة العبرة لما لدغته نملة كيف أصيب باقى النمل بعقوبتها يريد تعالى أن ينبهه على أن العقوبة من الله تعم الطائع والعاصى فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع وسوءا ونقمة وعذابًا على العاصى .

الخليفة المأمون والنمل :

روى أن رجلاً استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف له فقال : يا أمير المؤمنين إن الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة ليستمع منها وما أنا عند الله بأحقر من نملة ، وما أنت عند الله بأعظم من سليمان فقال له المأمون صدقت ووقف ، وسمع له وقضى حاجته[1] .

لغة النمل :

لقد ثبت بالأدلة العلمية المادية والتجريب المعملى أن للنمل لغة منطوقة ومسموعة ومفهومة وهذا ما أدهش العلماء ، وأثار عجبهم[2] ، والأعجب من ذلك أن القرآن الكريم سبق العلماء فى ذكر هذه الحقيقة العلمية فقد قرر فى آية النمل السابق الإشارة إليها فى صراحة ووضوح أن نملة قالت والقول إنما يكون بلغة منطوقة ومسموعة ومفهومة ومما يؤيد بل ويؤكد ذلك أن الآية التالية لها مباشرة تقرر عن سليمان عليه السلام قوله تعالى عنه : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

(١) كتاب حياة الحيوان لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى الجزء الثانى .

(٢) كتاب عالم الحيوان للمرحوم عبد الرزاق نوفل .

التى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[1] .

فكان تبسم سليمان عليه السلام من قول النملة المذكورة .

وهكذا أورد القرآن الكريم منذ إشراق نوره وظهور الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان هذه الحقيقة العلمية فى عالم النمل ، والتى لم يصل إليها العلم إلا فى أيامنا هذه من زماننا المعاصر بعد دراسات شاقة وأبحاث علمية جادة وصدق الله تعالى إذ يقول فى محكم قرآنه : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنه الْحَقُّ﴾[2] .

---

(١) سورة النمل ١٩ .

(٢) سورة فصلت ٥٣ .